السنة: 2020 المجلد: 05 العدد: 02 ص ص: 78 - 98
EISSN 2676-1645 ISSN 2543-375X

التمثلات الاجتماعية للسيارة كفضاء خاص
دراسة استكشافية على عينة من السائقين بولاية باتنة

Social representations of the car as a private space An exploratory study on a sample of drivers in Batna Province

عبلة سرايري[1] جامعة باتنة 1، الجزائر
abla.srairi@univ-batna.dz
راجية بن علي، جامعة باتنة 1، الجزائر radjia5@gmail.com
مخبر سيكولوجية مستعمل الطريق، جامعة باتنة 1، الجزائر

تاريخ الإرسال: 2020/04/01 تاريخ القبول: 2020/05/21

ملخص:

هدفت الدراسة الحالية للكشف على محتوى التمثلات الاجتماعية للسيارة كفضاء خاص، وكيفية انتظامها في عناصر مركزية ومحيطية وعناصر مفارقة وفقا لنظرية النواة المركزية لأبريك Abric، انطلقنا من تساؤلين حاولنا الاجابة عنهما باستخدام المنهج الوصفي التحليلي، حيث قمنا باستجواب عينة من السائقين قوامها 105 سائق من مدينة باتنة شرق الجزائر، معتمدين على تقنية التداعي الحر لفارجيس Vergès، التي تسمح بجمع محتوى التمثل وتوضيح عناصره المركزية والمحيطية، وبعد تحليل النتائج باستخدام برنامج Evoc2005، بينت النتائج أن محتوى وبنية التمثلات الاجتماعية للسيارة كفضاء خاص ارتبط بعدة أبعاد نفسية ورمزية كالحميمية، الخصوصية، منزلي الأول، الراحة والحرية، هذه النتائج ترسم تصورا اخرا للسيارة يتجاوز الحدود النفعية لها، وربما هذا ما يعطي تفسيرا للكثير من السلوكات التي نراها ونشاهدها يوميا في طرقاتنا.

[1] - المؤلف المراسل

الكلمات المفتاحية: التمثلات الاجتماعية، السيارة، الفضاء الخاص، السائقين.

Abstract:

The current study aims to identify the social representation content of the car as private space and how it is organized into central, peripheral and paradoxical elements, according to the central core theory by Abric , The study based on analytical descriptive method, the sample consisted of 105 drivers in Batna (east of Algeria), by using free association technique to Verges.

The data obtained were analysed by Evoc program (2005), The results are: The content and structure of social reprentation for the car as the private space linked to several psychological symbolic dimensions like intimacy, privacy, my first home, comfort and freedom, these results give another perception of the car ,exceeds utilitarian limits of the car ,which can give an explanation for many behaviours on our roads.

Keywords: Social representation, Car, Private space, Drivers

1 - إشكالية الدراسة:

تعد وسائل النقل إحدى مقومات الحياة المعاصرة في كل مستوياتها ومجالاتها، وتحتل السيارات بأنواعها مكانة أساسية بين وسائل النقل الأخرى وبوصفها الوسيلة الأكثر استعمالا حيث تجاوزت مبيعاتها في العالم سنة 2018 حاجز100 مليون سيارة (نجدت، 2018)، وتولي الأمم لإنتاج السيارات أهمية كبيرة حتى كادت صناعتها تحتل المقام الأول في اقتصاد الدول المتقدمة، فقد قصرت المسافات وسهلت انتقال الافراد والامتعة ووفرت امكانات الاتصال الاجتماعي وتوثيق الروابط بين الناس، وفتحت مجالات واسعة للتبادل الحضاري والسياحي بين الشعوب، غير أن للسيارة آثارا سلبية كثيرة على البيئة منها الانبعاثات الغازية الضارة، تلوث الجو، الاحتباس الحراري، بالإضافة للحوادث المرورية الخطيرة، خاصة عند اهمال اجراءات السلامة المرورية.

وبالرغم من ما ينتج عن استخدام السيارة من خسائر مادية وبشرية، إلا أن امتلاكها في الوقت الحاضر اضحى ضرورة لا بد منها فمعظم مستعملي الطريق لا يمكنهم الاستغناء عنها وهذا ما أتثبته الإحصاءات العالمية والوطنية، فقد وصل عدد السيارات في العالم الى أكثر من مليار سيارة سنة 2007 حسب CCFA[1]، أما وطنيا فقد بلغ عدد السيارات في أواخر سنة 2018 حسب وزارة الداخلية الجزائرية الى9 مليون و200الف سيارة (العمري، 2019). هذه الأرقام تعكس مكانتها في حياة الافراد في وقتنا الحاضر.

واذا كانت وسائل النقل عموما أو السيارات خصوصا تستخدم بغرض نفعي، بغية التنقل وتقريب المسافة والزمن، فإن هناك من الدراسات ما أوضحت ان استعمالها تجاوز بكثير الحدود النفعية الوظيفية، لتمثل بالنسبة لمتلكيها فضاء خاصا وأوليا يحس فيه السائق ويتصرف كما لو كان في منزله، بل أصبحت تقوم بنفس الوظائف التي يقوم بها المنزل فينعزل السائق فيها، ويأكل فيها، ويستمع فيها للأخبار والموسيقى و...، ما يجعلها لدى البعض مكانهم الخاص والمريح، وهذا ما خلصت له مثلا دراسة خوذير khoudeir التي وجدت أن توفر التقنيات الحديثة وتأثير تصميم المنزل على المركبة أنتج مركبات جديدة قابلة للعيش أو العمل، مما خلق علاقة عاطفية معها كمكان يشعر فيه السائق بالراحة والرضا والحرية(71, 2007 khoudeir,).

وقد انتبه المسؤولون عن صناعة السيارات لهذه الفكرة، أي فكرة ارتباط السيارة في اذهان مستعمليها بالفضاء الخاص بما يعنيه هذا المصطلح، واستدخلوها في تصميم المركبات وتدعيمها بمختلف التجهيزات التي تضمن الراحة، الرفاهية والخصوصية لمستقليها، ومن هذا جاء مفهوم المركبات الصالحة للعيش، حيث أصبحت واسعة، فاخرة، مريحة، دافئة شتاءا وباردة صيفا.... الخ.

ويرى مارسيل Marcille أن الفضاء الخاص لصيق بالإنسان يشمل تجاربه وأحاسيسه وهو الصورة التي تعكس وجوده، لأنه يؤثر فيه ويتأثر به من خلال

انتاجاته وممارساته اليومية المختلفة، وهذا ما أكده في قوله "الانسان غير منفصل عن فضائه بل انه هذا الفضاء ذاته" أي ان نوعية الفضاء لا تتحدد من خلال كيانه المادي أو وظيفته الفعلية، بل من خلال تصورنا وتمثلنا له، فالطريقة التي يدرك بها الأفراد الفضاء تضفي عليه دلالات خاصة، لا تتحدد في الوجود المادي وفقط وإنما في الوعاء الذي يحتضن المعنى، أي أن الفرد هو من يصنع هذا الفضاء الخاص من خلال تمثلاته له، وذلك لأنه حقيقة معاشه يؤثر فيه ويتأثر به (برواق، 2012، 39) .

ويضيف ريموندRemond أن كل شكل من العلاقات الاجتماعية هو شكل من الاشكال الفضائية، لأنها تجري في فضاء معين، فمثلا المكان المتسع يرتبط بالفراغ ويوحي بذوبان الكيان وتلاشيه، ما يجعل الانسان يتيه فيه ويفقد نفسه، أما المكان الضيق فيرتبط بالدفء والألفة ويمثل الملجأ والحماية التي يأوي اليها الانسان بعيدا عن صخب الحياة ويكون كصورة الرحم (Pellegrino, 2010, 33).

وبالعودة لفكرة السيارة كفضاء خاص معيش وجدت موش ودوبوا

Moch et Dubois في دراستهما حول علاقة السائق بسيارته، أن التجربة المعيشة في فضاء السيارة تقاس وفقا للسلوكات التي تحدث فيها (الأكل، القيلولة، الحلاقة، الهاتف ...) حيث يصبح هذا الفضاء (أي السيارة) يمثل بالنسبة للسائق أهمية وقيمة كبرى ويحمل دلالات رمزية وعاطفية، وبالتالي كلما تم استثماره كلما زاد التعلق به (Moch et Dubois, 2001, 15).

كما وجد دوبواDubois في الدراسة التي أجراها سنة 2004 أن تمثلات السائقين للسيارة تتأثر بدرجة استثمارها والاعتماد عليها، وهي التي تحدد قيمتها بالنسبة لهم، حيث أن خصوصية الحيز المكاني تعكس علاقة خاصة بين السائق وفضاء السيارة، علاقة ديناميكية، عاطفية، حميمية، ولحدوث ذلك يشترط ان يبنى لها تمثلا كفضاء خاص وكامتداد للمنزل حيث يعتبرها البعض صندوق أو شرنقة تغلفه وتحميه من الأخطار أو من انتهاك خصوصيته،

وهي بهذا تشارك المنزل خاصية الاسكان ولكنها مفصولة عنه. (178 (Dubois, 2004,

انطلاقا من هنا، بالرجوع لما يحدث في الجزائر، خاصة مع الاحصائيات المخيفة لحوادث المرور، والتي يعد فيها السائق المسبب الأول والرئيسي لها، نجد ان القليل والقليل جدا من الدراسات -وفق علمنا-اتجهت للبحث عن تمثل السيارة من منظور السائق، رغم ما قد يلعبه هذا التمثل من دور في فهم السلوكات التي تحدث على الطريق. إن التعرف على تمثل الافراد لسياراتهم كفضاء خاص قد يسهم في فهم الفضاء المروري، وفي تحليل وتفسير ما يحدث على طرقاتنا، وفي شرح سلوكات السائقين لذا جاءت دراستنا هذه كمحاولة لتحديد محتوى ومضمون التمثلات الاجتماعية للسائقين حول موضوع السيارة كفضاء خاص، من خلال محاولة الكشف عن بنية هذه التمثلات، وترتيب عناصرها المركزية والمحيطية، وفقا لنظرية النواة المركزية لأبريك Abric وهذا بطرح التساؤلات التالية:

- ما هو محتوى تمثلات السائقين الاجتماعية للسيارة كفضاء خاص؟
- كيف تنتظم هذه التمثلات وفقا لنظرية النواة المركزية؟

2 - أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

- معرفة محتوى تمثلات أفراد العينة للسيارة كفضاء خاص.
- التعرف على عناصر النواة المركزية والنظام المحيطي والعناصر المفارقة في هذه التمثلات.

3- مصطلحات الإجرائية للدراسة:

3-1 التمثلات الاجتماعية:

يرى أبريك "Abric في تعريفه للتمثل أنه ليس انحراف عن الواقع، لكن يقصد به عالم من المعلومات المخزنة في ذاكرة الفرد، سواء الذاكرة الفردية أو الجماعية، وهو نظام معرفي له عمله ووظيفته الخاصة يعمل على انتقاء

وتنظيم المعلومات المستقبلة والجديدة الواردة من البيئة الخارجية، وتكييفها مع الأبنية المعرفية التي يملكها الفرد، فالتمثل ليس مجرد صورة أو إدراك للموضوع المتمثل، وإنما هو واقع جديد يكونه الفرد حول الموضوع من خلال نشاطات العقل البنائية، كما يرى أنها نظام معرفي اجتماعي مركب من نظامين متفاعلين نظام مركزي: النواة والتي تمثل العنصر الأساسي في التمثل، ونظام محيطي: ويحوي العناصر المحيطية والتي تمثل عناصر ذاتية أقل جاذبية(Abric,2005, 64) وهي مكونات التمثلات الاجتماعية التي حاولنا الكشف عنها من خلال استخدام الاستحضار التسلسلي لفارجيس Verges.

2-3 السيارة كفضاء خاص:

الفضاء عند علماء علم النفس البيئي مصطلح يعبر عن علاقة الانسان بمحيطه الفيزيائي وما ينتج من أحاسيس اتجاهه سواء بالقبول أو الرفض، وقد أعطى مول وروميرMolles et Rohmer مفهوما للفضاء الخاص بوصفه الموضع الذي يعيش فيه الفرد ويشمل سكنه، عمله، وجل نشاطاته وممارساته اليومية المختلفة وعلاقاته الاجتماعية. ويعرفه باختين Bakhtine بأنه المجال المعاكس للفضاء العام ويمثل الداخل الذي يتصف بالانغلاق والمحدودية والخصوصية والحميمية كالمنزل، أو الغرفة ....مثلا. (Moles et Rohmer 1998,93)

و يقصد بالسيارة كفضاء خاص في هذه الدراسة ما تمثله السيارة كمجال يتصف بالانغلاق والمحدودية والخصوصية يقضي فيه السائقون وقتا معينا ويمارسون فيه سلوكات معينة.

وانطلاقا من هذين التعريفين يمكن أن نعرف التمثلات الاجتماعية للسيارة كفضاء خاص إجرائيا أنها مجموعة منظمة من المعلومات والأفكار والمواقف والمعتقدات، التي تتبادر إلى ذهن افراد العينة حول السيارة كفضاء خاص، والتي تظهر في نظامين مركزي ومحيطي، وذلك باستخدام تقنية الاستحضار التسلسلي المستنبطة من اعمال فارجيس Verges.

4- التناول النظري لمتغيرات الدراسة:

ترتبط اشكالية معالجة مصطلح الفضاء بتعدد المعاني والتراجم، إذ يتقاطع مصطلح الفضاء مع عدة مفاهيم أخرى، وهذا راجع الى حداثة الاهتمام به من جهة، والى تداخل المصطلحات التي استعملت لوصفه في الدراسات خاصة كمصطلح الحيز ومصطلح المكان رغم اختلافها، فمفهوم المكان يشير للامتداد المتصور وهو بمثابة الوعاء الضخم الذي يستوعب الغابات، الصحراء، والأنهار، ويعني الاستقرار والثبات وعليه يكون المكان أو الموضع الذي يحوي الإنسان وانشطته، ويتسع ليشمل الارض بما عليها (الضوى، 2003، 48). أما مفهوم الحيز حسب برادلي Bradlyفهو شديد التعقيد لا يمكن التحكم في حدوده، ويتجلى عبر أفق مفتوح يتكون من أشياء جامدة ممتدة، وهي قابلة للانقسام الى اجزاء عدة ترتبط في علاقات فيما بينها.

فالمكان هنا مرتبط بما هو جغرافي وواقعي مثال الجزائر، تاغييت وغيرهما من الأماكن الجغرافية والمعالم الحضرية، أما مصطلح الفضاء والحيز فمفهومهما اشمل وأوسع من مفهوم المكان حسب Bradly، فالفضاء هو الامتداد والموضع المادي والمتصور(المتمثل) الذي يعيش عليه الانسان، ويعني سكنه وعمله وعلاقاته الإنسانية والاجتماعية وجميع أنشطته، أما الحيز يميل في معناه الى الخواء والفراغ وينصرف استعماله الى والوزن والحجم والشكل (الزراعي، 2015، 19) ولكن المصطلح الشائع في مختلف الدراسات هو الفضاء باعتباره أكثر تعبيرا عن ترجمة المصطلح espace .

والفضاء حسب هورسل Horissol هو مجال أو عالم حيوي تتواجد فيه الأشياء بموجب علاقات فيزيائية محددة وتتنامى فيه اهتمامات ومشاغل انسانية، وهو مرتبط بتمثلاتنا في تقدير الاشياء المحيطة بنا، وعلى هذا الأساس يكون هذا الفضاء مجالا للأفعال والأحاسيس المتنوعة التلقائية (الزراعي، 27).

ويأتي تمثل الفضاء كفضاء اولي وخاص ليختلف حسب الأفراد، فلكل فرد تمثل ذهني خاص به حسب الفضاء الذي ينتمي اليه ويتفاعل فيه، وهذا

التمثل هو الذي يحدد مواقف وممارسات وسلوكات الأفراد (ابعسين، 2013، 17).

وقد استعان عبد المالك مرتضى بتجربة الصندوق لألبرت انشتاين لشرح معنى الفضاء الخاص حيث يقول اننا نستطيع أن نرتب الأشياء بطريقة معينة داخل الصندوق حتى يمتلئ وترتبط هذه الاشياء به ويصبح مختلفا عن باقي الصناديق، وبإغلاقه يصبح فضاء له حدود معينة وليس متفتحا الى مالا نهاية مثل المكان أو الفضاء العام.

وفي المقابل يقول هال Hall أن مفهوم الفضاء الخاص يفدينا في استخدام حدود للأشياء، وان لم يكن هناك حدود نقوم بتصورها ورسمها في اذهاننا حتى وان كانت حدود مزيفة، أي أن الأفراد هم من يصنعون هذا الفضاء الخاص بتمثلاتهم له، حيث يمكن أن نخلق حدود وهمية غير موجودة في الأصل، وانطلق باشلار Bachllar في دراسته للفضاء الخاص بربطه مباشرة بعلاقته مع الفرد وما له من تأثير على تمثلاته وخياله، وهذا التأثير يعطي رموزا لهذا الفضاء الخاص فيصبح من أماكن الألفة لما له من مكانة مهمة وقيمة سوسيونفسية للفرد (بلشم، 2009، 37.36).

وانطلاقا مما سبق فان الفضاء الخاص هو المكان الذي يمارس فيه الفرد سلطته ويكون بالنسبة له حميميا ويحس بامتلاكه وحرية التنقل والتصرف فيه كالمنزل أو الغرفة أو المكتب ...الخ، حيث نجده يتردد عليه باستمرار ويحس بالراحة والحميمية اثناء التواجد فيه.

ومن خلال هذا الطرح نستنتج أن المكان يحوي مجموع من الفضاءات العامة ينتقل فيها الفرد وهي ليست ملك لأحد معين مثل الطريق، المساجد، الحدائق... ويكون الفرد حر التصرف، فيها لكن هناك دائما سلطة تتحكم فيه، أما الفضاء الخاص أو الأولي فهو الموطن والمأوى والمجال الخاص جدا، والفرد هنا له الحرية المطلقة للتحكم فيه تماما مثل المنزل أو الغرفة أو السيارة. فهو مكان مادي وله مفهوم وتصور وادراك فردي.

تمثل الفضاء الخاص يمكن أن يتعدى الى قيم أخرى حسب دراسة لوبريينLebrun حول المركبة كفضاء معيش، حيث وجدت أن فضاء السيارة يعبر عن هوية الفرد وشخصيته تماما مثل المنزل، فتخلق أولا الذاتية والفردانية والخصوصية من خلال انشاء الحواجز، مثل الأبواب والنوافذ ورموز العتبات التي تمثل المرور بين الداخل والخارج والحدود بين السائق وبين الأخرين -أي بين الفضاء الخاص والعام -فتصبح امتداد للمنزل أو بالأحرى منزل أخر، هذا الشعور الذي تمنحه السيارة قد يجعل السائق يقودها بثقة كبيرة وبشكل عدواني وعنيف، ويقوم بسلوكات خطيرة دون ادراكه ذلك (Lebrun, 2001,36).

وتأتي دراستنا من نفس المنظور حول السيارة كفضاء خاص باعتبارها منتوج نهائي تشاركت فيه عوامل اجتماعية وثقافية تؤثر على تمثلات وسلوكات السائقين، فالسيارة اليوم تخضع لتطورات وتحولات سريعة وذلك استجابة لرغبات ومتطلبات الأفراد المتجددة يوما بعد يوم، والتمثل الذي يأخذه السائق عن السيارة كفضاء خاص قد لا يتطابق بالضرورة مع واقع هذا الفضاء ووظيفته، بقدر ما يعبر عن حجم الأشياء المدركة والمتمثلة عنها.

ورغم قلة الدراسات وفق علمنا في هذا المجال، أي مجال تمثل السيارة كفضاء خاص -خاصة الدراسات العربية-إلا ان هناك من الدراسات التي حاولت تناول موضوع السيارة من الناحية الاجتماعية والسيكولوجية، والتي باختلاف نتائجها أوضحت عموما أن القيم والاتجاهات المرتبطة بالسيارة تتجاوز الحدود الوظيفية النفعية لها كوسيلة نقل فعالة وضرورية بالنسبة لمستعمليها وهنا نذكر مثلا دراسة موش ودوبوا2001 Moch et Dubois التي وجدت ان تركيب السيارات وتكوين المنزل يتوافقان باعتبارهما فضاء خاصا أوليا، وذلك وفقا لتمثلات السائقين، ويظهر الفضاء الخاص هنا كداعم لتمثلات مختلفة مثل الاحتواء، الاعتماد، الانتماء، الفروق الجنسية، الشعور بالسيطرة والامتلاك. هذه التمثلات مرتبطة بالمقام الأول بهذا الفضاء سواء كان حقيقيا أو وهميا يخضع لتمثلاتهم، حيث يكون الفرد حرا أكثر في التعبير عن ذاته،

بمعنى فضاء يجد دائما مكانا له فيه ويشعر بالارتياح، ويحدد فيه معالمه بنفسه، حيث تصبح الحدود فيه غير واضحة أو منعدمة، لذا من الممكن أن تشعر بأنك في المنزل في أي مكان أخر غير المنزل) Moch, Dubois, 2001 (.

أما في دراسة دوبوا2004 Duboi فقد وجد أن المنزل والسيارة يتشاركان في البعد المادي والمكاني حيث يظهران كفضاء خاص مرتب بشكل مريح، حميمي، ملجأ آمن، مساحة سرية، يشعر فيها الفرد بالحرية والدفء ويمكن الابتعاد فيه عن الأماكن العامة أو العالم الخارجي، فالفرد بحاجة الى صورة المأوى بين أربعة جدران في فضاء يمكنه أن يفعل فيه ما يريد ويهرب من أي تعدي على حميميته أو خصوصيته. الجدران، الأبواب، النوافذ والستائر التي تشكل المنزل والسيارة كلها حواجز نقوم بتثبيتها بيننا وبين العالم الخارجي، وتضمن لنا الحفاظ على خصوصيتنا وعلى راحتنا وتعطي فضاءا مغلفا ومحميا.(Dubois, 2004).

ووجد فورنيه Fournier 2011 في دراسته أن السيارة تعتبر مؤشرا فعالا يبرز السائق من خلاله مكانته ومستواه الاقتصادي، ويؤكد في هذا الصدد ان امتلاك السيارة يعتبر استثمار نرجسي يساهم في تكوين وتأكيد صورة الاعتزاز بالذات عند الرجل وتفتح له حدود جديدة واسعة لتأكيد ذاته الذكورية(Fournier 2011).

اما بالنسبة للدراسات العربية فنجد دراسة بن علي وشرفة 2019 حول التمثلات الاجتماعية للسيارة، حيث ارتبطت بتمثلات وظيفية، أي تركزت حول وظيفتها الاساسية كوسيلة لتسهيل نقل وتنقل الأفراد، بالإضافة للتمثلات الوجودية أي أن المركبة امتداد لذات الفرد، لفضائه ولمجاله الخاص ولتصوراته، والتمثلات الترفيهية أي أن المركبة وسيلة راحة، استمتاع، إثارة ومتعة، والتمثلات الناقدة والتي ظهرت من خلال الخطر والمسؤولية والمصروف والجهد أضافي الذي تحتاجه (بن علي، شرفة، 2019).

هذه النتائج وغيرها تقودنا لافتراض أن التمثلات التي يحملها السائقين عن السيارة قد تنعكس في سلوكاتهم التي يتفاعلون من خلالها في فضاء خاص

(السيارة) وعام (الطريق) ومركب بكل ما يحوي من متغيرات فيزيقية وإنسانية، وهو ما قد يفسر ما نعيشه من ظواهر مرورية في طرقاتنا.

5 - إجراءات الدراسة الميدانية:

5 - 1 منهج الدراسة:

إن الهدف من دراستنا هو الكشف عن محتوى التمثلات الاجتماعية حول السيارة كفضاء خاص، لذلك استخدمنا المنهج الوصفي التحليلي، حتى نتعرف على عناصر النواة المركزية والنظام المحيطي ثم الكشف عن كيفية انتظامها وترتيبها لدى السائقين.

5 - 2 حدود الدراسة:

تمت الدراسة زمنيا في النصف الأخير من سنة2019، مكانيا في ولاية باتنة شرق الجزائر، أما بشريا فقد استجوبنا مجموعة من سائقي السيارات.

5 - 3 عينة الدراسة:

تم توزيع 150 استبيان على عينة عرضية من السائقين الحاصلين على رخصة سياقة ب، والذين يملكون سيارات ويستعملونها بشكل دائم، موزعة على عدة مناطق من مدينة باتنة. استرجع منها 120 استبيان، وبعد فرز الأجوبة واستبعاد الاستبيانات غير الكاملة، تكونت عينة الدراسة النهائية من 105 سائقا من كلا الجنسين منهم 29 أنثى و76 ذكر.

5 - 4 أدوات الدراسة:

اعتمدنا في هذه الدراسة على طريقة الاستحضار التسلسلي، المستنبطة من أعمال فيرجسVerges، والذي اقترح استعمال منهج التداعي الحر، الذي يسمح بالوصول إلى العناصر الضمنية التي تكون مستترة، كما أنه يسمح بالولوج إلى النواة المركزية للتمثل الاجتماعي، وهو ما يميز هذه الاداة مقارنة بالتقنيات الأخرى كالاستبيان والذي يسمح فقط بتوضيح الأبعاد المحيطية للتمثلات (لوناس، 2016، 207). حيث يتم الاخذ بعين الاعتبار مؤشرين

تدريجيين هما تواتر أو تكرار المفردة وترتيب ظهورها، حيث يطلب من المستجوبين القيام بما يلي:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة تداعي الحر L'association libre وترتكز هذه المرحلة على الكلمة أو السؤال المثير والذي كان في هذه الدراسة: ما الذي يميز منزلك وتجده في السيارة؟

وانطلاقا من هذه الأخيرة نطلب من المفحوص انتاج كل الكلمات أو العبارات التي تتبادر إلى ذهنه تلقائيا وبسرعة وبدون مراقبة والتي تكون العالم الدلالي للعبارة أو الموضوع المدروس.

المرحلة الثانية: وهي المرحلة التسلسلية أو مرحلة تحديد الأهمية، وفي هذه المرحلة طلبنا من المستجوبين إعادة ترتيب إنتاجهم الخاص (تداعياتهم) حسب أهميتها بالنسبة لهم، وبهذا نحصل على مؤشرين كميين لكل عنصر منتج هما تكرار الظهور ووزن أو رتبة الأهمية، والتقاطع بينهما يعطينا مخطط لوضعية عناصر التمثل وهذا ما سنوضحه من خلال الجدول التالي:

الجدول رقم 1: **يوضح كيفية تحليل تقنية الاستحضار التسلسلي**

الأهمية / التكرار	الأهمية	
	كبيرة	ضعيفة
قوي	**الخانة الأولى** **منطقة النواة المركزية**	**الخانة الثانية** **منطقة المحيطية الأولى**
ضعيفة	**الخانة الثالثة** **منطقة العناصر المفارقة**	**الخانة الرابعة** **منطقة المحيطية الثانية**

الخانة الأولى: يتم فيها تجميع العناصر الأكثر تكرار والأكثر أهمية وهي منطقة النواة المركزية.

الخانة الثانية: وهي منطقة العناصر المحيطية الأولى ذات التكرار العالي والأهمية الضعيفة.

الخانة الثالثة: نجد فيها منطقة العناصر المفارقة، حيث نجد عبارات ذات تكرار ضعيف عند المفحوصين إلا أنهم يعتبرونها ذات أهمية عالية، تظهر هذه العناصر عند الجماعات التحتية والتي تحمل تمثلات متباينة أو مختلفة.

الخانة الرابعة: إنها المحيطية الثانية، تتكون من العناصر الأقل تكرارا والأقل أهمية (بن ملوكة، 175)

5-5 أساليب التحليل:

اعتمدنا في تحليل النتائج على برنامج Evoc 2005، وهو برنامج يقوم على ما يعرف بالتحليل المعجمي Lexical analyse، يعمل باللغة الفرنسية فقط، حيث قمنا بجمع الكلمات المتشابهة والتي لها نفس المعنى أو المتقاربة مثال الخلوة، العزلة، المخبأة في كلمة واحدة وهي الخصوصية، ثم قمنا بترجمة التداعيات الى اللغة الفرنسية وادخالها وفق قواعد وشروط البرنامج.

6 - عرض وتحليل نتائج الدراسة

6– 1 عرض وتحليل نتائج التساؤل الأول:

– **وينص على ما يلي**: ما هو محتوى تمثلات السائقين الاجتماعية للسيارة كفضاء خاص؟

تحليل اجابات أفراد العينة كشف عن وجود 292 كلمة مقترحة، بعد تصنيفها بلغ العدد الاجمالي 15 كلمة مختلفة تمثل السيارة كفضاء خاص بالنسبة للسائقين بوبناها مع تكراراتها ومتوسطات أهميتها في الجدول التالي:

جدول رقم 2: يوضح تمثلات عينة الدراسة للسيارة كفضاء خاص

الكلمات	تكرارها	متوسط أهميتها
الحميمية	57	2.69
الهدوء	40	3.29
العزلة	35	2.37
الخصوصية	32	2.40

العائلة والرفقة	29	3.01
الراحة	27	3.88
الحرية	27	3.88
منزل أول	24	3.03
وسائل راحة	22	3.88
الأمان	21	3.02
المكانة الاجتماعية	17	3.47
ملكية خاصة	17	3.29
العمل	16	3.83
النظافة/التنظيم	13	3
المسؤولية	11	2.63

المصدر: من اعداد الباحثتين اعتمادا على نتائج الاستبيان

ان ما نلاحظه من خلال الجدول رقم 2 هو أن محتوى تمثلات الافراد للسيارة كفضاء خاص كان متنوعا جدا، وشمل مجموعة من المفاهيم والمشاعر التي تعدت قيمة السيارة كوسيلة للنقل، حيث نجد أن محتويات وتكرارات أفراد العينة جاءت متقاربة خاصة بالنسبة للمفاهيم التالية: الحميمية، الهدوء والخصوصية، العزلة، إلا أن التمثل الأكثر تكرارا وأهمية هو الحميمية، وقد عبر معظم المستجوبين عنها من خلال التداعيات التالية: الحب، الاهتمام من الطرف الآخر، الرومنسية، وقد تم تجميع هذة التداعيات كما شرحنا سابقا في تمثل واحد وهو الحميمية، أي أن أفراد العينة يجدون في السيارة نفس الحميمية التي يجدونها في المنزل مع الطرف الآخر، ولعل ظهور هذا التمثل في الأول يبرز الى أي حد تعد السيارة بالنسبة لأصحابها فضاء خاصا وأوليا.

كما أن السائقين المستجوبين يرون أن السيارة فضاء يضمن لهم الهدوء والعزلة، حيث جاءت تكرارات التمثلين مرتفعة ومتقاربة جدا، وقد يرجع هذا الى ما أشار له ريموند درويتلRemond druitel الى انه وعلى عكس المنزل الذي في كل الأحوال يعد أوسع من السيارة، فان السيارة كمكان ضيق قد ترتبط بالدفء والألفة وتمثل الملجأ والحماية التي يأوي اليها الانسان بعيدا عن صخب الحياة.

كما أن السيارة بما تتوفر عليه اليوم من مميزات تجعل الافراد يرونها كفضاء شخصي يضمن خصوصيتهم وحرمتهم، وهو ما ظهر في تمثل الخصوصية وعبر عنه أفراد العينة في تكرار التداعيات التالية: السترة، الخلوة، حل المشاكل الزوجية والحرمة، ويظهر الشعور بالخصوصية داخل السيارة، وربما أحيانا أكثر من المنزل -والذي من المفروض انه المكان الرئيسي للحرمة والسترة وحل المشاكل الزوجية -حيث قال بعض المستجوبين اثناء إعطاء التداعيات ان المنزل لا يوفر لهم نفس مستوى الخصوصية، لوجود افراد أخرين فيه (إخوة، أهل، أطفال)، وهنا تظهر السيارة كبديل له، وهذا ما أظهرته دراسات كل من موش ودوبوا(Moche,2001) (Dubois,2004)، اما بقية التمثلات فقد ظهرت في مراتب أدنى وأقل أهمية مثل العائلة، الراحة، الحرية، منزل أول، ملكية خاصة، المكانة الاجتماعية، العمل، النظافة، المسؤولية، الأمان، وسائل الراحة، ويمكننا ان نعيد ظهور هذه التمثلات الى التقنيات الحديثة التي استدخلت على السيارات، ففي دراسة (Khoudeir,2007) وجد أن توفر التقنيات الحديثة وتأثير تصميم المنزل على المركبة انتج مركبات جديدة قابلة للعيش والعمل، وجعلها مكان يشعر فيه السائق بالراحة والحرية، ويرتبط بها عاطفيا بشكل يتعدى مجرد كونها وسيلة نقل، سيارات اليوم مجهزة تقريبا كالمنازل أو أحسن، أي بكل ما يوفر حاجات الانسان الضرورية وحتى الثانوية من مكيفات ومقاعد مدلكة ومدفئة، نظام GPS ناهيك عن الوسائل التقنية وأنظمة الأمان التي تسهل عملية السياقة في حد ذاتها كنظام مثبت السرعةABS، وأجهزة التكييف والتدفئة،

حزام الأمان، الوسائد الهوائية Airbag، كل هذه الوسائل تضمن الراحة للسائق وتجعله يحس بأنه محمي ومؤمن داخل سيارته مثل المنزل تماما.

6 - 2 عرض وتحليل نتائج التساؤل الثاني:

- **وينص على ما يلي**: كيف تنتظم هذه التمثلات وفقا لنظرية النواة المركزية؟

توزعت عناصر التمثل الاجتماعي للسيارة كفضاء خاص بعد اجراء التحليل المعجمي بالشكل المبين في الجدول أدناه:

جدول رقم 3: يوضح توزع عناصر التمثلات الاجتماعية للسيارة كفضاء خاص

الأهمية x التكرار	متوسط الأهمية	
	اقل من 2.90	اكثر من 2.90
	الخانة الأولى النواة المركزية	الخانة الثانية العناصر المحيطية الأولى
اكثر من 23	الحميمية 57 2.69 العزلة 35 2.37 الخصوصية 32 2.40	الهدوء 40 3.29 الراحة 27 3.88 منزل أول 24 3.03 الحرية 27 3.88 العائلة والرفقة 29 3.01
اقل من 23	الخانة الثالثة العناصر المفارقة	الخانة الرابعة العناصر المحيطية الثانية
	ملكية خاصة 17 2.80 مسؤولية 11 2.63 العمل 16 2.83	الأمان 21 3.02 وسائل الراحة 22 3.88 المكانة الاجتماعية 17 3.47 التنظيم والنظافة 13 3

المصدر: من اعداد الباحثتين اعتمادا على نتائج الاستبيان

الجدول رقم 3 يوضح توزع محتوى التمثلات في النواة المركزية والعناصر المحيطية الأولى والثانية والعناصر المفارقة. فبالنسبة للنواة المركزية فقد جاء

فيها ثلاث عناصر، العنصر الأول "الحميمية" بتكرار بلغ57 ومتوسط أهمية 2.69. العنصر الثاني: "العزلة" بتكرار بلغ 35 ومتوسط أهمية 2.37، أما العنصر الثالث: "الخصوصية" فقد جاء بتكرار بلغ 32 ومتوسط أهمية 2.40، فيما توزعت العناصر "الهدوء"، "الراحة"، "منزل أول" و"الحرية" و"العائلة والرفقة" في المنطقة المحيطية الأولى. وجاءت "المكانة الاجتماعية"، "الأمان"، "التنظيم والنظافة" و"وسائل الراحة" في المنطقة المحيطية الثانية أما العناصر المفارقة فتمثلت في "المسؤولية"، "العمل" و"ملكية خاصة".

ووفقا لأبريك Abric تعتبر منطقة النواة المركزية العنصر الأساسي في التمثل، وذلك لأنها تضم دلالة التمثل وتحدد تنظيمه، وحسب النتائج المبينة في الجدول يمكن أن نشكل مجموعتين نتيجة التجانس بين العناصر، حيث أن الأولى تضم الخصوصية والعزلة والثانية تضم الحميمية، وفي هذا الإطار أشار أبريك Abric إلى أن النواة المركزية قد يكون عددها من عنصرين إلى ستة عناصر، وأنها تضمن التجانس والاستقرار، وللتأكد من ذلك علينا التمييز بين العناصر الأولية والنائبة، حيث تعبر الاولى على الطابع غير المشروط، والثانية تأخذ اسمها من القيمة التي منحتها لها نظرا لتبعيتها إلى الأولى، كما أن معناها يُحَدد وفقا لوظيفتها مقارنة مع العناصر الأولية (بلال، 2017، 93) أي أنه يوجد تدرج آخر داخل النواة المركزية.

وانطلاقا مما سبق فإن مجموعة العناصر الأولية (النشطة) تضم عنصران مترابطان متجانسان لهما نفس الدلالة وهما العزلة والخصوصية، وكما أشرنا سابقا الى أن السيارة اليوم توفر تقريبا كل ما يوفره المنزل، ففي دراسة لوبريين Lebrun 2001 حول المركبة كفضاء معيش وجدت أن فضاء المركبة يعبر عن هوية الفرد وشخصيته تماما مثل المنزل، فتخلق أولا الذاتية والفردانية والخصوصية، من خلال انشاء الحواجز مثل الأبواب والنوافذ ورموز العتبات التي تمثل المرور بين الداخل والخارج والحدود بين السائق وبين الآخرين، فتصبح امتداد للمنزل أو بالأحرى منزلا أخرا. هذه الحدود تجعل السائق يشعر وكأنه داخل منزله.

أما العناصر النائبة والمتمثلة في الحميمية، والتي أولت لها عينة الدراسة أهمية كبيرة قدرت ب 2,69، والتي يتحدد معناها وفقا لوظيفتها بالنسبة للعناصر الأولية، واذا رجعنا للتحليل السابق نجد أنه اذا توفر الشعور بالخصوصية والعزلة يحس السائق بالأمان فيشعر أنه حر في فضاء السيارة وأنه المكان المناسب للحديث عن خصوصياته.

أما بالنسبة للنظام المحيطي للتمثلات فقد احتوى على عدد من العناصر توزعت في الخانة الثانية والرابعة تمثلان العناصر المحيطية الاولى والثانية، وبالرغم من أن عناصر النظام المحيطي تكون أكثر عددا وتكرار، الا انها أقل وزنا ودلالة مقارنة بالنواة المركزية، العناصر المحيطية بفضل تعددها وتنوعها هي أكثرا استعمالا في حديث أفراد العينة وخطاباتهم عن تمثل المركبة كفضاء خاص، ويعتبر النظام المحيطي مكمل لنظام النواة المركزية، ويتضح ذلك من الخصائص المشتركة بين الفضاء الداخلي للسيارة والمنزل وهذا ما يظهر في العناصر التالية: الأمان، الراحة، الهدوء، الرفقة والعائلة، الحرية، النظافة والتنظيم، نلاحظ أن كل هذه العناصر أو التمثلات تعبر عن خصائص المنزل والتي اسقطتها عينة الدراسة على فضاء السيارة مما يخلق نوعا من الخصوصية والحميمية التي ظهرت في النواة المركزية.

أما الخانة الثالثة المتمثلة في منطقة العناصر المفارقة: فهي العناصر ذات التكرار الضعيف ودرجة الأهمية العالية، وتضم آراء أقلية من الأفراد لكنها مهمة بالنسبة لهم، حيث تمثلت في ما يلي: المسؤولية، العمل، ملكية خاصة ونلاحظ ان ما يميز هذه العناصر هو الاختلاف والتنوع بين ما هو مادي ونفسو اجتماعي، حيث عبر افراد العينة عن تمثل المسؤولية بالتداعيات التالية: الالتزام الاحترام، السيطرة، النظام، الانضباط، ربما تشترك هذه العناصر بين السيارة والمنزل حيث يجب أن يتبادل أفراد العائلة أو الأسرة الاحترام والتفاهم ويقوم المنزل على قيم كالانضباط والالتزام بالقواعد أو القوانين التي يضعها رب الاسرة أو العائلة، وهو بالضبط ما أسقط على السيارة والفضاء المروري، أي يجب أن يتبادل مستعملي الطريق سواء سائقين أو راجلين الاحترام، والالتزام

بقوانين المرور، لذا اعتبروا استعمال السيارة مسؤولية السائق اتجاه نفسه واتجاه بقية المستعملين، وقد تعود هذه التمثلات لمعاشات شخصية لأفراد العينة كحوادث مرور حدثت لهم أو لأقاربهم أو معارفهم ويمكن أن يظهر هذا التمثل وعي الأفراد بأهمية ووظيفة السيارة كوسيلة نقل وبنتائج سوء التصرف بها.

أما في تمثل ملكية خاصة ربما تعبر عن التمكن المادي أو الرفاهية أو القدرة على الامتلاك سواء بالنسبة للمنزل أو السيارة. أما فيما يخص تمثل العمل فقد قسمنا التداعيات الى قسمين، فمنهم من كانت اجاباته يغلب عليها الجانب النفسي وذلك بحثا عن الهدوء والتركيز والراحة كملء أوراق بنوك أو وثائق مهمة، أما القسم الثاني فيغلب عليها الجانب المادي النفعي، فقد اعتبرها السائقون وسيلة للعمل أو كسب القوت تستخدم للنقل بطريقة قانونية أو غير قانونية كFraude وهو ما توافق مع دراسة **بن علي وشرفة 2019**. ومنهم من اعتبر المنزل أيضا وسيلة للكسب عن طريق الايجار أو شراءه وإعادة بيعه وكسب هامش الربح.

عموما يمكننا القول أن محتويات التمثلات الاجتماعية حول السيارة كفضاء خاص، جعلت منها امتداد لفضاء السائق ومجاله الخاص، وان السائقين المستجوبين يرون سياراتهم كمنازلهم أو كفضاء خاص متحرك يضمن لهم الحميمية والخصوصية والراحة وهو ما يتوافق مع ما جاء في بعض الدراسات الغربية التي تناولت هذا الموضوع كدراستي موش Moche 2001 ودبوا Dubois 2004.

خاتمة:

كخلاصة لهذه الدراسة يمكننا القول أن محاولتنا للكشف عن التمثلات الاجتماعية للسيارة كفضاء خاص ليس فقط للتوقف عند الجانب الوصفي لها، وانما بهدف فهم وتحليل سلوكات للسائقين على الطريق، خاصة منها سلوكات المخاطرة، صحيح انه لا يمكننا تعميم هذه النتائج نظرا لطبيعة العينة، لكن لا يمكننا أن لا نعتبرها مؤشرا عما هو موجود، خاصة وانه يصعب في مثل هذه الدراسات الحصول على عينات عشوائية ممثلة، إن النتائج

التي توصلنا اليها قد تشرح ما يحدث اليوم في طرقاتنا، وقد تكون منطلقا لتفسير الحوادث التي يعرفها الفضاء المروري، فالسيارة التي صنعت في الأصل كوسيلة للنقل ولتسهيل حياة الأفراد تحولت لدى البعض الى فضاء خاص حميمي، آمن، مريح، يشبه أو يكاد يكون كالمنزل، فضاء خاص معيش يرتبط سائقها بها عاطفيا، ما يجعل من أي مساس بها في حدود التفاعلات اليومية التي تحدث على الطريق، دافعا لسلوكات غير آمنة وعدوانية تشكل خطرا على السائق نفسه وعلى بقية مستعملي الطريق.

قائمة المراجع:

إبعسين، الحسين (2013). المجال والمجال الجغرافي، مجلة الآداب والعلوم الانسانية: مراكش العدد 27، ص 10-17.

برواق، آمال. (2012). سيميولوجيا الفضاء ودلالة التمثلات المعمارية، جامعة الجزائر3، كلية العلوم السياسية والاعلام قسم علوم الاعلام والاتصال.

بلال، ريم .(2017). التمثلات الاجتماعية للموت .الملتقى الوطني الأول حول الموت في الممارسات الثقافية . الجزائر: ص 70-96.

بلشم، منى. (2009). شعرية الفضاء في مقدمة الضغائن، جامعة قسنطينة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية.

بن علي راجية، شرفة سامية (2019). التمثلات الاجتماعية لمستعملي الطريق عن السيارة، مجلة Route Educationnel & Social Science Journal .العدد**3**، ص . 157-178

بن ملوكة، شهيناز (2013) . التمثلات من الأبعاد النظرية إلى نظرية النواة المركزية. مجلة الحوار الثقافي. العدد2، ص . 173-176

الزراعي، محمد (2015). انشائية الفضاء في الفينومينولوجيا. مجلة علامات في النقد. عدد32، ص 19- 37

الضوى، محمد التوفيق .(2003). مفهوم المكان في فلسفة الظاهر والحقيقة" الاسكندرية، جمهورية مصر العربية: منشأة المعارف .

العمـري، ابـراهيم، الحضـيرة الوطنيـة للسـيارات 2019، مجلـة الجزائـر اليوم، www. . com. Aljazairalyom تاريخ التصفح 14 فيفري2019.

لوناس، محمد (2016). التمثلات الاجتماعية للاضطرابات النفسية .المجلة الجزائرية للطفولة، العدد3، ص . 189-216

نجدت، أحمد (2018). السيارات الاكثر مبيعا في2018، مجلة سكاي نيوز عربية، www.skynewsqrqbiq.com تاريخ التصفح 1سبتمبر 2019.

Abric, Jean. (2005). Méthodes d'étude des représentations sociales, Ramonville: Saint-Agne.

Dubois, Nicolas. (2004). l'automobile: un espace vécu comme un autre chez soi, Sciences de l'Homme et Société. Université de Nanterre , Paris.

Fournier, Christoff (2011). la performance des opérations de marketing de automobile, sage journal french Edition, http// org /10 1177 076. (1/11/2011).

Khoudheir, Riad(2007).L'amélioration de l'habitabilité automobile de demain, Institut national polytechnique: paris.

Lebrun, Monique (2001). Les représentations sociales des méthodes de recherche aux problèmes de société: paris.

Moche, Annie, Dubois(2001). L'automobile et le chez soi, ville en parallèles: paris.

Moles, Abraham, Rohmer (1998) .psychologie de l'espace. L'harmattan: paris.

Pellegrino, Pierre (2010). le sens de l'espace , l'époque et le lieu: Paris.

CCFA[1]: Comit des Constructeurs Français d'Automobiles, http//www.ccfa.fr